مصطفى الفقى فى أدب الصورة القلمية (١)

يتعامل المثقفون - فى أغلبهم - بمصر مع الجانب السياسى، والجانب الدبلوماسى لمصطفى الفقى فقط، وينسَوْن الجانب الثقافى لديه كمفكر وكاتب وباحث باللغتين العربية والإنجليزية، على الرغم منْ أنه أنجز فيه ما يزيد على خمسة وعشرين كتابًا ما بين الفكر السياسى، والعلوم الاجتماعية، وأدب الرحلة، وكتب السيرة الذاتية والمذكرات والاعترافات، والإسلام السياسى، وفى سنواته الأخيرة بدأ يهتم بما يمكن أن نسمِّيَه «أدب البورتريه»، أو«أدب الصُورة القلمية»، وهو أدب ارتاده كتَّابٌ وشعراء ونقَّاد ومُفكرون كثيرون قبله، لعل أقربهم إلى قلبى ونفسى الكاتب الروائى الراحل خيرى شلبى.

وهناك كتابٌ صدر فى تونس «لم أقرأه للأسف» للأكاديمية التونسية جليلة طريطر عنوانه «أدب البورتريه: النظرية والإبداع» صدر عن دار محمد على للنشر سنة ٢٠١١ ميلادية، ويقع فى ١٥٥ من الصفحات.

وقد أصدر الدكتور مصطفى الفقى ثلاثة كتب متتالية عن الدار المصرية اللبنانية هى: «شخصيات على الطريق»، «عرفتهم عن قرب»، «ذكرياتى معهم».

وعندما أكتبُ عن اسم ما، فعادةً ما أنحّى اختلافى وليس خلافى (لأننى أومنُ بالاختلاف لا بالخلاف) السياسى أو الفكرى بعيدًا، وأنظرُ فقط إلى النتاج الذى أمامى، وقد توقفتُ أمام ما أنجزه مصطفى الفقى فى السنوات الثلاث الأخيرة (١٦، ١٧، ٢٠١٨ ميلادية) من كتب.

يرسم مصطفى الفقى ذات من يكتب عنه بقلمه، بحيث يصير «أدب الذات» جُزءًا من سيرة الفقى نفسه؛ إذ إنَّه يكتبُ بحُكم الصداقة أو المزامَلة، أو كونه بطلا، أو راويًا، أو شاهدًا، أو مُجايلا، أو معاصرًا للأشخاص الذين ذهب نحو كتابتهم من وجهة نظره، وبحُكم عمله السياسى والدبلوماسى فقد عرف الكثيرات والكثيرين مصريين وعربًا وعالميين حيث حكى أسرارًا، وسرد وقائع، وكتب أحداثًا، لا يمكن أن نجدها فى مكان آخر أو فى مرجع آخر سوى عند مصطفى الفقى، الذى يكتبُ بحرفية وصدق وحميمية تحثُّ المتلقى على أن يقرأ كتابه فى جلسة واحدة أو على الأكثر فى جلستين، من فرط الجديدِ المفاجئ الذى يطالعُ القارئ للمرَّة الأولى، وإنْ كان مصطفى الفقى يقيم موازنات فى الحياة بحُكم تنشئته الدبلوماسية ووظيفتِه كقنصل وسفير لسنوات طويلة؛ فهو فى كتب أدب البورتريه، لديه شجاعة الكشف والتعرية والصدام، إنه يذكر الحقائق التى يعرفها، دُون مُداراة أو مُواربة.

ولدى مصطفى الفقى تنوعٌ فى المرجعيات عندما يكتب، إذ يعتمد على قراءاته، ومُشاهداته، وأسفاره، والمناصب التى شغلها، ثم معارفه المختلفة فى مجالات الدين والأدب والفلسفة والسياسة وغيرها من المصادر التى تشكل رافدًا له، يأخذ منه ويستفيد.

فما طرحه مصطفى الفقى يثيرُ عودة أدب البورتريه الذى يكاد يكون قد اختفى أو فى سبيله، إذ يتطلب كاتبًا صاحب رؤية، وطارح أسئلة، عميق الفهم والفكر، ولديه توقّد ذهن، وذكاءً من نوع خاص، حيث إنَّ مصطفى الفقى كاتبٌ يعرف كيف يُجدول ذهنه، ويُرتِّبُ عقله.

فى نتاج الفقى نحن أمام قراءة أخرى عميقة لذوات الشخصيات التى تناولها، حيث يرسمُ صورًا غير مُكرَّرة أو مُتشابهة تنتمى إلى عائلته اللونية، بفرشاةٍ يتضافرُ فيها الانحياز والحياد والموضوعية معًا.

وللحديث صلة..